الشنقل...

الشنقل

إن جل ما أحبه في غرفتي هو ذاك الشنقل، عندما قام أبي وأمي بتغيير كل نوافذ البيت من شيش إلى ألومينيوم، ورفضت أنا تمامًا تغيير نافذة حجرتي، لم أبدِ أسبابًا غير ادعائي بعدم حبي للتغيير، وإني ألفت الحجرة على هذا الوضع وبهذا الشباك الخشبي المذهل، يمنحني ليلا الهواء المطلوب والضوء الخافت غير المباشر حتى وهو مغلق، ويمنحي نهارًا بعض الضوء الخافت الذي لا أرجو أشد منه حتى أضيء حجرتي وأمارس نشاطاتي اليومية.فأنا لا أفتح النافذة على مصرعيها أبدًا، دائمًا ما أواربه بالشنقل.

أتذكر آخر مرة فتحت فيها نافذتي على مصرعيها، وأتذكر أيضًا أني أفزعت بهذه الحركة ابنة الجيران التي تطل عليها نافذتي والتي كانت تهم بخلع ملابسها من الأعلى وبعد مباغتتي لها، قامت بإرجاعها عليها مرة أخرى .احمرت خجلة وسارعت بإغلاق نافذتها، احمررت أنا الآخر وكأني من كشفت لا هي.

وقفت للحظات غير مدرك للموقف ككل أتساءل إن كنت أخطأت أم هي المخطئة، ثم ندبت حظي السيئ، لو تأخرت ثانية أخرى لكنت رأيتها بدون ملابسها لا محالة.

كنت حديث العهد بالرجولة في ذلك الوقت، وتمنيت لأيام وأيام أن تنسى مرة أخرى وأراها وهي تبدل ملابسها، أستخدم الشنقل لترك النافذة مواربة وأراقب غرفتها لساعات منتظرًا هذه الغلطة، أراها من حيث لا تراني، ولكن يبدو أنها كانت الهفوة التي لا تتكرر، كانت تغلق النافذة دائمًا قبل أن تبدل ملابسها وتفتحها بعدها.

مرت شهور وأنا لا أفقد الأمل، لم تغنيني كل الحسناوات على صفحات الإنترنت ولا كل نجمات البورنو عن رغبتي في رؤية هذه الفتاة عارية. لا أمل من مراجعة الحادثة مرارًا وتكرارًا وأتساءل عن لون ملابسها الداخلية وعن خامتها في ذلك اليوم. ترى هل كانت ترتديها في الأساس؟؟ أحاول أن أتخيلها كثيرًا بعدة أوضاع مثيرة.

تبًا لهذه الهرمونات...

تبًا لهذه الهرمونات التي حلت علي مؤخرًا كلعنة يبدو أنها لن تزول . أحاول أن أستفيد من أخطائي. فلن أفزعها مرة أخرى، سأشاهد فقط في هدوء.

أذاكر للثانوية العامة وهي أيضًا تذاكر، يبدو أننا في نفس المرحلة الدراسية، أحاول أن ألمح صباحًا الشعار على زيها المدرسي لأعرف مدرستها، لم لا ؟ قد نكون أصدقاءً بل أحبابًا.

أنتظرها أمام مدرستها وأذهب وأتحدث إليها، ثم ماذا؟؟ ..ماذا أقول لها؟؟ أتمنى أن أراكِ عارية مرة أخرى؟؟ يا للسخافة، لن أقوم حتمًا بالإقدام على هذا.

أراها تذاكر ليلا كثيرًا وتفتح نافذتها على مصرعيها وأنا خلف الشنقل أذاكر أنا الآخر وأستأنس لحضورها الذي تجهله.

أراقبها تمرر القلم بين خصلات شعرها مرارًا وتكرارًا ثم تقوم بمضغ مؤخرة القلم، حركات كلها عادية ولكن تثيرني بجنون. أصبحت لا أمل مراقبتها، تجلس لساعات تكتب في أوراقها ما لا أراه، فأذاكر أنا الآخر، يبدو أنها ستحرز مجموعًا مرتفعًا، يجب أن أضاهيها في الذكاء، لم لا ؟؟ قد يجمعنا مدرج واحد العام القادم وتسمح لي الظروف بمكالمتها.

حل الصيف ورأيتها يومًا ترقص من الفرح بعد مكالمة تليفون، تقفز وتصرخ وتدلف عليها أمها في الحجرة لتسمع منها بعض الكلمات ثم تعانقها بشدة، ترى ما هي الأخبار السعيدة؟؟

بعد لحظات تطرق أمي الباب من الخارج صارخة (إدخل يا أيمن على النت بيقولو نتيجة الثانوية العامة طلعت)..

إذا هي النتيجة، تصفحت الإنترنت وأنا أتمنى أن أحرز مجموعًا مرتفعًا؛ لتجمعني بها نفس الكلية التي أجهلها، وكان لي الشق الأول مما أردت، فقد أحرزت مجموعًا مرتفعًا، جمعني بها هذا اليوم إحساس النجاح، نحن نتشاطر الآن نفس الإحساس، ودخلت سياسة وعلوم اقتصاد.

أبحث عنها في وجوه الفتيات أول يوم ولا أجدها، ذهبت إلى غرفتي بعد نهاية اليوم لأراها تحمل بالطو أبيض بين حاجياتها .يبدو أنها كانت علمي ولم تكن أدبي.

تبًا لتعدد علوم الحياة....

مضت الشهور بعدها أقضي الكثير من الوقت في الجامعة وفي الليل على القهوة مع أصدقائي، لا أعود إلى حجرتي إلا متأخرًا، ألمحها تتحدث في المحمول كثيرًا، تهب علي نسمات الخريف من ثنايا نافذتي الموارية ليلا معطرة بعبير حبها. تجلس بالساعات على سريرها على أضواء خافتة وابتسامة لا تفارق وجهها إلا للضحك، أراقبها ولا أعرف مصدر النور في حجرتها من مصباحها أم من وجهها، نجح نور قلبها بالتسلل من وجنتيها.

أتخيلني بجوارها وألمس بيدي شعرها، أضمها لي ثم أقوم بتقبيلها، أريد أن أتذوق هذا الوجه المضيء وهذه الشفاة المبتسمة .أغار عليها مِن مَن أشعل الضوء فيها .أغضب قليلا ثم أنام.

تبا لهذا الفتى بل تبًا لكل فتيان الأرض جميعًا...

مضت عدة شهور أخرى وأنا أحاول أن أتفادى هذه النافذة، لم أعد أراقب بنت جيراننا مرة أخرى. صار لي أصدقاء جدد من الجامعة .نقضي الليل إما في المذاكرة أو على صفحات التواصل الاجتماعي، بل إني أحببت مرة إحدى زميلاتي .أصبحت أقضي الكثير من الوقت على المحمول أتحدث إلى حبيبتي، يزيد حبي لها يومًا بعد يوم .حلت محل بنت الجيران في خيالاتي وأحلامي عدة شهور.

فرقت الحياة بيني وبين محبوبتي .فعدت مرة أخرى أتلمس شنقل نافذتي وأفكر في أن أفتحه لأستنشق هواءً أكثر، فقد خنقني الفراق، يجثو ذلك الحمل الشفاف على صدري ويأبى الرحيل .قد يزول إن بكيت وقد لا يزول .أرغب في ذرف الدموع ولكن تأبى رجولتي أن تذرفه على الهوى . توجهت إلى النافذة وكنت سأهم بفتحها، لولا إني رأيتها تبكي بشدة أمام مرآتها، تمزق بضعة صور مخبأة بين طيات كتبها، وتعود وتبكي مرة أخرى . يبدو أن ألم الفراق جمعنا هذه المرة، نتشاطر الإحساس معًا.

أحسدها وأحسد كل فتيات الأرض على حق البكاء الذي أمسى من حق المرأة دون الرجال.

تبًا لمن سن هذه السنة....

زال الحزن الجاثم على صدري من بكائها، كأنها بكت عن كلينا، راقبتها في هدوء، أتخيلني أقوم بضمها وأمسح دموعها، وأربت على كتفيها في حنان .وأقول لها(لا عليكِ ..أنا هنا).

مرت عدة شهور وهي تذاكر بكثرة، لاتغادر غرفتها إلا صباحًا بضع ساعات ثم تعود لتذاكر، غاب الوهج عن وجهها وحل النحول على جسدها .لم أجد أي جديد في أيامها أو أفعالها، بدأت أنشغل عنها بل لم أعد أراقبها.

تبًا للفراق وألم الفراق.....

تخرجت من الجامعة وتأهبت لمعركة الحياة .أعمل كثيرًا وأخوض دورات كثيرة .أعود إلى منزلي منهكًا فأنام.

لم يعد هناك الكثير من الوقت للأصدقاء ولا لنافذتي، أختلس بعض النظرات من وقت للآخر ولا أجد أي جديد، فما زالت تذاكر وتغيب عن غرفتها كثيرًا.

بعد سنة من التخرج جاءت الفرصة التي ينتظرها جميع من في سني بالسنين ....السفر ...حان الوقت لتحمل المزيد من المسؤولية وكسب المال . حان لحظة فراقي لأهلي ولغرفتي. وقفت هذا المساء في غرفتي أودعها، فطائرتي تقلع في الصباح، ونظرت إلى نافذتي وإلى الشنقل المربوط منذ عدة سنوات، لماذا ربطت هذا الشنقل لسنوات وسنوات؟ حان الوقت لفتح النافذة على مصرعيها ليدخل الهواء كله والضوء كله إلى هذه الغرفة.

قمت بخطوات سريعة إلى النافذة، وفتحتها بسرعة لأجد أمامي ابنة الجيران عارية إلا من بعض الملابس الداخلية الرقيقة في غرفتها المزدحمة بعدة فتيات يقمن بتزين وجهها وتسريح شعرها، لا أحد يبالي بي ولا يراني، وأنا لا أراها ولا أرى جسدها، لا أستطيع أن أشاهد إلا فستانها الأبيض المعلق

على درفة الدولاب.

تبًا للشنقل.....